8ème Année No. 375

Lundi - 9 - 1940

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٧٥ « القاهرة فى يوم الإثنين ٧ شعبان سنة ١٣٥٩ — الموافق ٩ سبتمبر سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــرس

صفحة		
١٤٠٥	تصحيحاً لتاريخ الزعيم ...	الأستاذ عباس محمود العقاد
١٤٠٨	الحديث ذو شجون ...	الدكتور زكى مبارك ... ...
١٤١٢	أخلاق القرآن	الدكتور عبد الوهاب عزام
١٤١٥	« نفثة » ... أخرى ! ...	الأستاذ على الطنطاوى ...
١٤١٨	من عجائب الاجتهاد ...	« لسان أديب » ... ...
١٤٢٠	ثلاث عشرة حبة [قصيدة]	الأستاذ عباس محمود العقاد
١٤٢١	مرثية زهرة ! «	الأستاذ محمود حسن إسماعيل
١٤٢١	خواطر فى الحرب ...	الأستاذ محمد عرفة ... ...
١٤٢٢	مدرس الرسم	الأستاذ عزيز أحمد فهمى ...
١٤٢٥	قصة الفيتامين	... ...
١٤٢٦	الحيوان يتخاطب ويتغازل ويحلم	الأستاذ أحمد على الشحات
١٤٢٨	إلى ممثل فرنسا فى سوريا ولبنان	الدكتور زكى مبارك ... ...
١٤٢٨	نهج كنية الامام الصادق	الأستاذ عبد الحميد البادى
١٤٢٩	إلى الأخ الدكتور زكى مبارك	الدكتور عبد الوهاب عزام
١٤٢٩	ديوان مجنون ليلى ...	الأستاذ على الطنطاوى ...
١٤٢٩	الشعرى اليمانية	الأستاذ خليل السالم ...
١٤٣٠	السجع فى كتاب « النثر الفنى »	الأستاذ عبد العزيز عبد المجيد
١٤٣١	مولد الدكتور أدهم ونسبه	الدكتور أحمد زكى أبو شادى
١٤٣١	عدد خاص من « الحديث » عن الدكتور أدهم ...	الأستاذ ابراهيم أحمد أدهم
١٤٣١	جواب سؤال	الأستاذ ناجى الطنطاوى ...
١٤٣١	حوله مقال فى سبيل الاصلاح	الأديب عبد الله عبد التواب
١٤٣٢	القاهر ... ... [قصة]	للكاتب الروسى ألكسندر بوشكين ترجمة الأستاذ حلمى مراد

تصحيحاً لتاريخ الزعيم

للأستاذ عباس محمود العقاد

قرأت نخبة من المقالات التى نشرتها مجلة « الثقافة » للغراء إحياء لذكرى سعد — رحمه الله — فى هذه السنة

ولى عناية خاصة بأمثال هذه المقالات ، لأنها تتصل بترجمة رجل عظيم أجللته وانعقدت الآصرة بينى وبينه فى الجهاد الوطنى بضع سنوات فضلاً عن سنين عدة كنا ننظر إليه فيها قبل ذلك نظرة الوثوق والإعجاب ، ولأن هذه المقالات تتصل من جهة أخرى بموضوع كتاب ألفته فى تاريخ ذلك الرجل العظيم ، فيعنينى أن أراجع فيه كل ما عسى أن يصحح رأياً أو واقعة أو خبراً مما ورد فى الكتاب لاستدراكه فى أوان الاستدراك

ومن المقالات التى اتجه إليها نظرى أول ما اتجه مقال العالم الفاضل الأستاذ أحمد أمين لأنه كتب عن مدرسة القضاء الشرعى وهو أحد الأعلام الذين أنجبتهم تلك المدرسة القصيرة الأجل ، الطويلة النفع والذكرى

ولكنى عجبت لأننى رأيت الأستاذ ينساق إلى خطأ شائع من الأخطاء الشائعة الكثيرة التى ذاعت عن مدرسة القضاء فى بعض الفترات .

وذلك إذ يقول : « ... لم يرض الخديوى ولا الأزهر عن

المشروع ، ولكن سعداً أصر و عرض الأمر على مجلس النظار برياسة الخديوى ، وعارض فى الجلسة من النظار من أوعز إليهم أن يعارضوا ، فاتخذ سعد المسألة قضية يترافع فيها كما كان يترافع أيام عهده بالمحاماة ، ونسى المجلس ونسى الخديوى وضرب بيده على المائدة كما كان يضرب أمام القضاة ، وتخاذل المعارضون ووافق على المشروع الذى كان يحلم ببعضه الشيخ محمد عبده ، وتم وفق نفس الخديوى منه شيء بل أشياء ، وهمس الخديوى فى أذن مصطفى باشا فهمى رئيس مجلس النظار : يظهر أن نسيبك لم ينس المحاماة ... »

فهذه القضية قد راجت زمناً لأنها تحمل عنصراً من عناصر الرواج بين الجمهور ، وسمعتها من مصادر عدة قبل التقائى بسعد وبعد التقائى به فى أيام الحركة الوطنية ، وهى مع ذلك « مؤلفة » أو مخترعة سمعنا نفيها من سعد نفسه وذكرنا ذلك فى مقالنا الذى نشرناه بمجلة « الهلال » الغراء على أثر وفاته ، وذكرناه بعد ذلك فى كتابنا عن سعد حيث نقول فى الصفحة العشرين بعد المائة :

« . . . كان الخديو حريصاً على استبقاء الأزهر فى قبضته لإطلاق يديه فى اختيار القضاة الشرعيين والإشراف على المجالس الحسبية وما يعهد إليها من محاسبة الأوصياء على التركات والنظار على الأوقاف ، ولكنه كان يعارض فى إصلاح الأزهر وتمكينه من إعداد القضاة والمعلمين والحامين على الوجه المطلوب . وقد تعب الشيخ محمد عبده فى علاج هذا الإصلاح العسير حتى نفض يديه آخر الأمر واضطر إلى اعتزال منصبه فى مجلس الأزهر الأعلى . فلما تصدى سعد لهذه المعضلة العصية هاجمته الاغراض والسعايات والعراقيل من كل جانب ، فعزم عزمته ونكب عن ذكر العواقب جانباً كعادته حين يتصدى لأمر هو على يقين من صلاحه ومن وجه الحق فيه ، وجاء إلى مجلس الوزراء وهو معول على أمر من أمرين : إما مدرسة القضاء ، وإما الاستقالة وهو غير آسف

« قال سعد فى بعض أحاديثه عما جرى فى تلك الجلسة بينه وبين الخديو : إن الأقاويل اختلفت فى المناقشة التى دارت بينى وبين الخديو فى ذلك اليوم . فقال أناس : إننى ضربت على المنضدة بيدى وقلت فى وجه الخديو : دعنى أدافع عن مشروعى ! وأن الخديو أجابنى حينذاك ساخراً : يظهر أن الباشا لم ينس بعد صناعته القديمة ... يعنى المحاماة ، وقال أناس غير ذلك مما يجرى بجراه ، والصحيح أننى لم أضرب على المنضدة بيدى ولم يعرّض الخديو بسابق عملى فى المحاماة ، وإنما شاهدت فى سموه ميلاً ظاهراً إلى رفض المشروع بعد ما شجعنى على المضى فيه ، ورأيته يأبى علىّ المناقشة والشرح أمام زملائى الوزراء ...

« قال رحمه الله بفكاهته المعهودة : وكنت قد انتقلت من القضاء إلى الوزارة « بعبلى » فدأبت على الشرح والاستدلال وقلت : إننى أفهم أن المناقشة حرة ، وأود أن أعرف المانع من تنفيذ المشروع . ولا أدرى أن هذا الكلام يغضب الخديو ويثقل وقعه على سمعه . فاحمر وجهه كلون طربوشه ، وسمع أصحابنا الوزراء منى هذه اللهجة فأيقنوا أننى لا أقدم عليها إلا وأنا مؤيد بقوة خفية ، ووهموا أن لورد كرومر يريد إنشاء المدرسة على الرغم من جميع العقبات ، فأجازوا المشروع بالإجماع وبقى الخديو وحده معارضاً فيه ! والحقيقة أن لورد كرومر لم يفاتحنى فى المسألة إلا بعد أن سمع بما دار بينى وبين الخديو من المستشار المالى ، وقد كان يحضر جلسات مجلس الوزراء »

هذه رواية سعد كما سمعناها منه ، وثبت لنا مرة أخرى أن أصلح الإشاعات للرواج هى أولاها بحذر المؤرخين

ومن الذين علموا بتصحيح هذه الإشاعة فيما أذكر كاتب سعد وملازمه فى وزارتى المعارف والحقانية فؤاد كمال بك رحمه الله ، ولعله أشار إلى ذلك فى مذكراته

* * *

وقرأت فى مقال الدكتور محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف « أن سعداً وهو فى وزارة المعارف قد اضطر فى بعض الظروف لمصانعة السياسة التى كانت متحكمة فى ذلك الوقت ، ومن ذلك ما كان من رأيه الذى دافع عنه خاصاً بالتعليم باللغة العربية ، ولكنه فى هذا إنما جرى على المثل المأثور : لا تكن صلباً فتكسر ولا ليناً فتعصر »

والذى نعلمه أن سعداً لم ينكر أن التعليم باللغة العربية واجب مطلوب ، ولكنه كان يرى أن التعليم باللغة العربية لا يتم ولا يعم قبل تحضير كتبه وإعداد مدرسيه ، وهذا رأى متفق عليه لا ضرورة فيه لمصانعة الأقوياء أو لاجتناب الصلابة ، وفى وسعنا أن نقول إن قوة الاحتلال كانت تصانع سعداً أضعاف ما كان يصانعها ، وكانت تحتمل منه أضعاف ما كان يحتمل منها ، وهذا غاية مايطلب من وزير مصرى لم يؤيده فى ذلك الوقت برلمان ولم يكن

الخديو من الراغبين فى بقائه ، ولا سند له إلا ما وتر فى نفسه من القوة وصلابة الشكيمة

* * *

وقرأت من مقال مكرم عبيد باشا « ... إن سعداً العظيم كان كسعد الرجل ، إذا ما أحس إحساساً فلا توسط فى حساسيته المرهفة . إذا ما بكى أو ضحك تشاركه عيناه بالدمع المنسجم — يبكى فيتطاير الدمع كالشرر المستمر ، ويضحك فيتساقط الدمع كالماء المنهمر ... ولا يهولنك أن يبكى سعد العظيم أو سعد الرجل فلعل أجل آية فى الإنجيل هى تلك الآية الحلوة القصيرة : بكى يسوع »

والواقع أن البكاء كان « تعبيراً » قوياً فى نفس سعد زغلول لا يدل على ضعف ولا استكانة ، ولكنه لم يكن من الانطلاق والمعاودة بحيث يفهم من هذه العبارة. فعلى طول رؤيتى له لا أذكر أن عينيه فاضتا بالدمع الغزير غير مرتين ، أما تناثر الدمع من عينيه حين يطيل الضحك فأمر طبيعى فى تركيب العيون يزيده فى سعد أنه احتفظ — على خلاف كثير من الشيوخ — بنعمة الضحك القلبى إلى ما قبل وفاته بأيام . وكان رحمه الله يجتنب البكاء ما استطاع ويشيح بنظره عن رؤية الضعفاء الباكين ، وقلنا من الكتاب فى هذا المعنى : « إن هذا الفاضل المكافح طول الحياة لم يكن أبغض إليه من رؤية الضعف ولا مشاهدة الحزن والمحزونين. ذهب بعد الإفراج عنه فى جبل طارق ليشهد صراع الثيران على الأرض الإسبانية ، فلم يطق ما رآه من تعذيب هذه الحيوانات وانصرف بعد فترة وجيزة وهو يتأفف من هذا اللعب المقوت . وعرف عنه ذووه أنه لا يطيق أن يرى البكاء لأنه يؤذيه ويستبكيه فكان يقول لهم : لا تبكوا أحداً أمامى ، وإذا مت فخذوا ثأركم منى ولا تبكونى . ومن عادته ألا يظهر أمام الناس فى موقف يخشى فيه من جيشان نفسه وغلبة دموعه ، ولهذا لم يستقبل أم المصريين على المرسى فى جبل طارق واكتفى بأن ينتظرها فى حجرة الاستقبال ... »

فبكاء سعد كان فى تعبيرات نفسه فى أمثال تلك المواقف ... المعدودة ، وكان مع هذا يجتنبها ما استطاع

* * *

وجاء فى مقال صاحب العزة « نخرى عبد النور بك » : « ثم ركبنا البحر وعدنا أدراجنا إلى القاهرة ، وكان الزعيم الخالد يبدى جلداً وصبراً ، وكثيراً ما كان يردد هذا الشطر : لو بغير الماء حلقى شَرِقُ . حتى وصلنا إلى بيت الأمة »

والذى أذكره أن سعداً رحمه الله تمثل بذلك الشطر وهو فى حجرة مرضه بمسجد وصيف بعد أن روى لى أشياء عن أناس من أنصاره كتموا عنه أموراً كان يود أن يطلعوه عليها ، وهذه المناسبة ظاهرة من معنى الشطر المفهوم

* * *

وفى عدد الثقافة مثل على اتفاق الرواية إذا اتفقت الملاحظة الطبيعية كما يلحظها الرواة خالصة من الحواشى والأغراض

فقد كتب الكاتب الأمين الأستاذ « كامل سليم بك » عن « حالة الزعيم النفسية » عقب مقتل السردار . فقال مما وعاه فى مذكراته : « وقد مرت بسعد وهو زعيم أزمات حادة أقضت مضجعه . ولأذكر على سبيل المثال ما حدث له أيام وزارة زيور باشا التى ألفت عقب مقتل السردار ، فقد ساد البلاد جوّ خانق بكو الأحكام العرفية ، وقبض على الأبرياء وزجوا فى السجون لأتفه الشبهات ، وفى طليعتهم الدكتور ماهر والأستاذ النقراشى ، وكان سعد يحبهما ويثق بهما أخلص حب وأكمل ثقة ، وحزن لسجنهما أشد الحزن وأخذ كثيرون من أنصاره ينفضون من حوله أو ينقطعون عن زيارته ؛ فدخلت على سعد يوم ٣٠ يوليه سنة ١٩٢٥ وهو فى هذه الحالة النفسية المتعبة ووجدته وحده فى مكتبه الداخلى فى بيت الأمة يطالع كتاباً ؛ ولن أنسى ما حييت ما لاحظت عليه من الحزن الأسود والألم الأليم . سألنى عن الحالة العامة فحدثته بما أعرف وتعمدت أن أضمن حديثى ما يدعو إلى الأمل والتفاؤل حتى أدخل على قلبه الكبير شيئاً من الطمأنينة والسكينة ، فابتسم ابتسامة فاترة كانت على الألم أدل منها على أى شىء آخر ، وقال : « اسمع يا كامل ! لقد ألم بالناس هزال شديد ، وهو أشد لدى من كانوا أكثر الناس حماسة وأشدهم غيرة ، ومن بقى منهم موجودون إما حياء أو تورطاً وإما لعدم وجود وسيلة أخرى ، وهى مصيبة ليس لها إلا ربك »

والواقع أننى لم أجد سعداً فى حالة من النعم كالحالة التى وجدته عليها فى تلك الفترة ، ولاحظت ذلك فى كتابة تاريخه فقلت : « ما أعرف وقتاً تسرب فيه السأم والتعب إلى بنيته وإلى نفسه كما كان يتسرب أحياناً خلال الفترة من مقتل السردار إلى عودة الحياة النيابية ... وذات ليلة كان يسأل : ما الذى يبعث القوة فى الشعب ؟ وكنا ثلاثة على مائدته : محامياً معروفاً والأستاذ